أسبوعان فى الواحتين
الخارجة والداخلة

بقلم

الأستاذ الشيخ أحمد على مبين

مفتش المعارف لمنطقة قنا

المقدمة :—

حينما كنت طالبا درست جغرافية الواحات وتاريخها دراسة علمية، فتاقت نفسى إلى رؤيتها، وبخاصة الواحتين الخارجة والداخلة، ولا أدرى لذلك من سبب سوى أنهما قريبتان من مديريتى قنا وأن أهلهما يتزاوران مع أهلها وكنت كلما هممت بتنفيذ تلك الرغبة لم أجد لذلك سبيلا ، وإذ عينت مفتشا لمنطقة قنا وكانت مدارس الواحتين المذكورتين تابعة لها وجدت الفرصة سانحة لزيارة تلك الجهات والإشراف على حالة التعليم بها فوطدت العزم على ذلك، وتخيرت فصل الربيع لاعتدال الجو فيه إذ أن تلك الجهات شديدة البرد شتاء، والحر صيفا .

بدء السفر :—

سافرت من قنا بالقطار فى الساعة الثالثة من مساء يوم السبت ٨ صفر سنة ١٣٥٧ الموافق ٩ أبريل سنة ١٩٣٨ وصحبنى من محطة دشنا حضرة حسن عبد السيد أفندى مفتش المعارف بها ـ وكانت تتبع دائرته مدارس الواحتين ـ ووصلنا إلى محطة المواصلة ـ إحدى محطات مركز نجع حمادى ـ ومنها يبدأ

الخط الحديدى إلى الخارجة . وكانت سيارة مصلحة السكة الحديدية فى انتظارنا فأقلتنا إلى محطة القارة فبتنا فى استراحتها ليلة الأحد ٢ أبريل سنة ١٩٣٨ فى انتظار قطار الواحات الذى يبرح محطة المواصلة فى الصباح الباكر من يوم الأحد أسبوعيا مارا بالقارة فى طريقه، وهى إحدى بلاد مديرية قنا .

من القارة الى الخارجة يوم الأحد ١٠ أبريل سنة ١٩٣٨ :

غادرنا القارة فى الساعة السادسة من اليوم المذكور بالقطار وكان مؤلفا من ثلاث عربات صغيرة إحداها لركاب الدرجتين الأولى والثانية وثانيتها لركاب الدرجة الثالثة وثالثتها للبضائع وكان يسير على شريط ضيق فى صحراء واسعة تكتنفها جبال شاهقة ومغارات وكهوف متعددة وكلها من الرمال، بيضاء ناصعة أو صفراء فاقعة ، وسرعته تزيد أحيانا وتنقص حتى لا تتجاوز سرعة عربة النقل فيتمكن الراكب من النزول والصعود بسهولة، وقد راعنا ما رأيناه فى نقطة ضيقة تسمى (الرَّ فوف) من انحدار قضبان السكة الحديد إلى أسفل مسافة ١٥ كيلو مترا وعلى يسارها هوة عميقة يكاد القطار يتردى فيها، ولو أن مصلحة السكة الحديد وجهت عنايتها إلى تلك الجهة وردمتها لسار القطار فى أمن، واستحقت على ذلك الشكر . ويقوم بإصلاح الطريق عمال المصلحة يقيمون فى محاط صغيرة — حجرة واحدة بها مسرة تصل بين تلك المحاط وبين المواصلة والخارجة — وينقل إليهم القطار الماء فى مستودع خاص .

وفى الطريق بقعة حجرية يقال لها وادى البطيخ لأن أحجارها صغيرها وكبيرها على هيئة البطيخ ويمر القطار بآثار المحاريق — قبل الخارجة بمقدار ٣٥ كيلو مترا — التى كانت سابقا منفى للمجرمين المصريين فى صحراء منبسطة المدى لا ماء فيها ولا نبات . وبعد أن اجتازها القطار سار بسرعة فى سهل مستو إلى عزبة الشركة قبل الخارجة بمقدار ١٥ كيلو مترا تقريبا. وفيها كثير من المزارع

المختلفة والأشجار المتنوعة ،وفى منتصف الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم وصلنا بلدة الخارجة حيث انتهى الخط الحديدى .

بلدة الخارجة :

جعلت مصلحة الحدود الواحتين محافظة سمتها «محافظة صحراء الجنوب» تضم مركزى الخارجة والداخلة، وبلدة الخارجة عاصمة المحافظة ، وفيها يقيم المحافظ تبعد عن المحطة بكيلو متر ويصل الداخل إليها من طريقين أحدهما من الجهة الجنوبية ولكنه غير معبدو كثير المنخفضات والمرتفعات ،والآخر من الجهة الشمالية أرضه معبدة وعلى جانبيه أشجار باسقة أكثرها من شجر الكافور وهذا الطريق يؤدى إلى دار المحافظة ومبنى المدرسة الابتدائية (وهى للبنات والبنين) ومدرسة المبانى الأولية واستراحة فخمة للحكومة : أربع حجرات بينها أبهاء وبها مرافق صحية ، وفناء رحب فيه حمام للسباحة خصص لكل طائفة يوم يسبحون فيه . وبالقرب من دور الحكومة مساكن الموظفين، حولها الحدائق الغناء والممرات الواسعة، وكل مسكن مستقل عن غيره ،ويصل إليها الماء والنور من آلة بخارية خاصة ، وبين دار المحافظة ومساكن البلدة كيلومتر يقطعه المار فى شارع منتظم تزين حافتيه الأشجار — وبجوار المزرعة ١٥ فدانا من أشجار الفاكهة والزيتون وفى مدخل البلدة متنزهات عامة ومبنى النادى ومسجد عظيم بناه حضرة صاحب العزة محمد بك وصفى المحافظ وأمامه دار المحكمة الشرعية وبقربه مبنى مدرستى البنين والبنات الأوليتين ومستشفى الحكومة ثم مساكن الأهالى وهى عادية وبينها شوارع لا بأس بها وفى وسطها عين تسمى (عين الدار) تتدفق منها المياه بكثرة فيشرب منها الأهالى ويسقون ماشيتهم وزراعتهم، وفى الجهة الجنوبية من بلدة الخارجة استراحة السكة الحديد وهى غير مريحة والكثير من نوافذها لا زجاج له فيقاسى النازل فيها آلام البرد الشديد، ويدفع ثمن بترول الإضاءة والصابون كما يدفع ٢٠٠ مليم عن كل ليلة يقضيها فيها،

لافرق بين موظف صغير أو كبير (كأن مصلحة سكة الحديد لاتعترف بمنشور وزارة المالية رقم ٩ لسنة ١٩٣٦ الذى يقضى بتخفيض ٥٠ مليما من نفقات بدل السفر عن كل ليلة يقضيها الموظف فى منزل أعدته الحكومة أو أية سلطة محلية مادام مرتبه لم يتجاوز ٤٠ جنيهافلعل وزارةالماليةوقداشتهرت بدقة المراجعة تنتبه إلى ذلك) وقد قُضِى علينا أن ننزل فيهايوم وصولناوأن نقضى بها ليلة الاثنين ١١ أبريل سنة ١٩٣٨ لوجود إصلاح باستراحة المحافظة. وعلى بعد خمسة كيلو مترات من بلدة الخارجة معبد (هيس) وهو من أيام ملك الفرس (دارا الأول) وقد زرنا مدارس هذه البلدة فى يوم الاثنين ١٩٣٨/٤/١١ . وفى صباح يوم الثلاثاء ١٢ منه أزمعنا زيارة بقيةبلاد المركز (جناح — بولاق — باريس) .

من الخارجة الى باريس والعودة اليها يوم الثلاثاء ١٢ منه :

يتفرع من الخارجة طريقان للسيارات أحدهما يسير غربا إلى الداخلة (وسنتكلم عنه عند السفر إلى الداخلة)والآخر يسير إلى الجنوب الغربى وهو الذى سلكناه فى صبحية يوم الثلاثاء ويبلغ طوله (من الخارجة إلى باريس) ٩٣ كيلو مترا تقطعها السيارة فى ساعتين ونصف بين جبال وعرة تارة وسهول منبسطة أخرى وهو طريق مخيف غير مطروق كثيرا فقد أجتزناه على طوله فلم يقابلنا فيهأحد، ولو أن سيارة تعطلت بركابها لظلوا تحت رحمة القدر . وعلى بعد ١٥ كيلوا مترا من الخارجة قرية جناح وقد زرنا مدرستها فى اليوم المذكور ولم نشاهد فى تلك القرية مايستدعى الذكر . وعلى بعد ١٣ كيلوا مترا منها قرية بولاق وهى عادية أيضا زرناها فى عودتنا إلى باريس يوم الأربعاء . وقد وصلنا فى يوم الثلاثاء إلى باريس سالمين فحمدنا الله تعالى .

باريس :

يخيل إلى السامع كما كان يخيل لنا أن باريس بلدة جميلةفى مبانيهاوشوارعها

كباريس أوربا ولكن الأمر بالعكس ينطبق عليها المثل (سماعك بالمعيدى خير من أن تراه) فهى على بعد الشقة ووعورة الطريق قرية حقيرة المبانى والشوارع وسكانها كسالى وهبهم الله فى وسط قريتهم أكبر عين ماء تسمى (الخشن) يرتوون منها ويسقون مواشيهم وبالقرب من القرية (عين الرماح) ومع وفرة الماء وخصب التربة فإن المزروعات قليلة . وفى القرية استراحة قضينا فيها ليلة الأربعاء بعد أن وقفنا على حالة التعليم بالقسم الليلى فى المدرسة، وفى صباح اليوم المذكور زرنا المدرسة . ثم عدنا إلى بولاق (فزرنا مدرستها فى ذلك اليوم كما سبق) ومنها إلى الخارجة فأقمنا بها ما بقى من ذلك اليوم ويوم الخميس ١٤ أبريل سنة ١٩٣٨ .

صحبة الخارجة الى الداخلة يوم الجمعة ١٥ أبريل سنة ١٩٣٨ :

فى الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة ١٥ منه ركبنا السيارة من الخارجة إلى الداخلة ووصلنا مركزها موط فى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم، وأدركنا صلاة الجمعة بمسجدها ونزلنا فى استراحة الحكومة بها .

طريق الداخلة :

بين الخارجة وأول بلدة بالداخلة (نتيده) ١٥٥ كيلو مترا وبين هذه وموط ٤٥ كيلو مترا فتكون المسافة بين الخارجة وموط ١٥٥ كيلو مترا قطعتها السيارة فى ست ساعات وكان الطريق ممهدا وعليه علامات من الجانبين حتى لاتضل السيارة ومع ذلك فالمحافظة تحتاط دائما فتبرق إلى الداخلة بموعد قيام السيارة حتى إذا لم تصل بعد ست ساعات من ميعاد وصولها ترسل إليها سيارة إسعاف وكذلك الحال عند قيامها من الداخلة . ومن فضل الله علينا أننا لم نحتج إلى إسعاف بل قطعنا الطريق بين السهول والجبال ووصلنا سالمين .

وعلى بعد ٣٥ كيلو مترا من الخارجة رأينا آثار محطة الغراب التى أنشئت فى سنة ١٩١٤ إبان الحرب العظمى لنقل الجيوش الإنجليزية ومهماتها ولمراقبة

حركة جيوش السنوسى فى الداخلة إذذاك، وكانت المياه تصل إليها من الخارجة فى أنابيب . أما الآن فهى خربة وبعض قضبانها رفع،ولو أن المصلحة أبقتها ومدت الخط إلى الداخلة لربطت البلاد بعضها ببعض،وسهلت الوصول إلى تلك الجهات وزاد إيرادها من الأجور التى تتقاضاها على نقل الأفراد والبضائع التى تنقل الآن بالسيارات . وشاهدنا صحراء رملية واسعة مهدتها الطبيعة تسمى ملعب الخيل . وعلى بعد ١٥٥ كيلو مترا من الخارجة بئر الزيات ماؤها على بعد ١٦٠ مترا تأخذ منها السيارات ماتحتاج إليه من الماء. بوساطة آلة ركبت عليها ، وقد دفعنى حب الاستطلاع إلى أن أجرب ذلك بنفسى فأخرجت الماء بسهولة .

الواحة الداخلة :

تتكون من البلاد الآتية : تنيدة . بلاط . أسمنت . المعصرة . موط . الهنداد . الراشدة . القصر . الجديدة . يدخلو . الموشيه . القلمون .

موط :—

بلدة حقيرة المبانى والشوارع عدا منطقة مساكن الموظفين ودور المصالح الحكومية : المركز . المحكمة الشرعية . المستشفى . التلغراف اللاسلكى . الاستراحتان الأولى للمحافظة وكبار الموظفين والثانية للمتوسطين أمثالنا وقد نزلنا فيها) وهذه المنطقة منعزلة عن البلدة فى الجهة الشمالية جيدة الهواء بها شوارع واسعة معبدة ومتنزهات تحيط بها المزارع وتضاء المساكن والشوارع ليلا بالكهربا من مولد خاص .

أما مكتب البريد فهو فى الجهة الجنوبية من البلد مكان المركز القديم ،

من موط الى بلاد المركز الأخرى يوم السبت ١٦ منه :

غادرنا موط يوم السبت ١٩٣٨/٤/١٦ إلى الهنداد على بعد ٧ كيلو متر فزرنا وشاهدنا كثيرا من أشجار الفاكهة والنخيل كما زرنا عمدتها فى استراحة

ورأينا فيها عينا تمتاز بعذوبة مائها،وأشجار الموز والفاكهة تحيط بها والماء يتدفق منها على هيئة تسر الناظرين . ومن الهنداد ذهبنا إلى الراشدة على بعد ٨ كيلو متر منها وتمتاز هذه القرية بكثرة نخيلها فقد علمنا أن عدد المثمر فيها منه (٦٥٠٠٠ نخلة) كما تمتاز بكثرة الفاكهة ففيها البرتقالى والليمون الحلو بحجم كبير ليس فى غيرها من الواحتين ، وقد أكلنا من الصنفين فوجدناهما لذيذين وتلقب هذه القرية لكثرة أشجارها بروضة الصحراء وكانت محط رحال السنوسيين أيام الحرب العظمى وأقام الشيخ السنوسى فى ذلك الوقت باستراحة عمدتها وبعد أن زرنا المدرسة عدنا إلى موط وبتنا فيها .

يوم الاحد ١٧ منه :

سافرنا من موط إلى القصر على بعد٣٥ كيلو مترا وهى مشهورة بجودة هوائها لأنها تقع على مرتفع من الأرض والجبال قريبة منها وتمتاز بعيونها ووفرة فواكهها وكثرة سكانها وبها نقطة شرطة وعلى بعد ٦ كيلو متر عين تسمى عين الجبل أو عين العمدة وقد افتتحت فى سنة ١٩٣٦ على ماعلمنا من العمدة،ومياهها ساخنة دائما لايستطيع الإنسان أن يستحم فيها دفعة واحدة بل بالتدريج وهى كبريتية وقد استشفى بها كثير من المصابين « بالروماتزم» فشفوا وقدشربنا منه قليلا فوجدنا طعمه مقبولا،وبعد أن اطلعنا على سير التعليم بمدرستها عدنا إلى موط للمبيت بها .

يوم الاثنين ١٨ منه :

فى صباح ذلك اليوم سافرنا من موط إلى بلاط على بعد ٣٦ كيلو مترا وبعد زيارة مدرستها رجعنا إلى أسمنت وهى على بعد ١٥ كيلو مترا من موط ثم إلى المعصرة على بعد ١٢ كيلو مترا من موط ثم إلى موط للمبيت بها . ولم نشاهد فى هذه البلاد الثلاث مايستحق الذكر غير بعض آثار رومانية ببلاط وأسمنت .

يوم الثلاثاء ١٩ منه :

سافرنا من موط إلى القلمون والمسافة بينهما ١٥ كيلو مترا ومساكنها فوق ربوة عالية وبها عشر عيون ماؤها حديدى لا يصلح للشرب فيجلب أهلها الماء من الراشدة على بعد ٧ كيلو تقطعها الركوبة فى ساعة ونصف ذهابا وإيابا، وقد وضعنا جزءا من مائها على كوب من الشاى الذهبى فصار لونه كالمداد الأسود، ولكنه صالح للمزروعات وبخاصة الفواكه. وأهلها ينقسمون إلى قسمين :

ا — قسم يسمى الغَزْ وهم من نسل الجراكسة وجدهم الأكبر يقال له أضا باشا .

ب — الفلاحون وهؤلاء ثلاثة أقسام :—

(١) الفقراء وهؤلاء ينعون الموتى ويضربون على الدفوف لإخبار الناس بمن مات ويمشون أمام الجنائز .

(٢) الفلاحون وهؤلاء يفلحون الأرض ويستنبوتها .

(٣) الفقهاء .

ولما زرنا المدرسة وجدنا تلاميذها وتلميذاتها من الفقراء والفلاحين واستوقف نظرنا أن رأينا جميع التلميذات مكتحلات العيون بكحل أسود مجدولات الشعور، فى كل ناصية أربع ضفائر من الشعر وتلبس البنت فى كل أذن أربعة أقراط وفى أنفها خزام وملابسهن مرصعة بالأصداف من الأمام، ويعلقن فى شعورهن من الخلف قطعا من الحديد والجلاجل ثقيلة، وأخبرنى رئيس المدرسة أن تلك الحال عادتهن وأن قطع الحديد يعلقنها ليسترسل الشعر ويطول . ثم سافرنا من القلمون الجديدة التى تبعد عنها ٧ كيلو وتمتاز بكثرة البرتقال والليمون الحلو وطينتها حمراء ولا عيون فيها ويسقون مزارعهم من السواقى، ثم عدنا إلى موط وبتنا فيها .

يوم الأربعاء ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٨ :

وفى الساعة العاشرة والثلث من صباح يوم الأربعاء سافرنا إلى تنيدة أولى بلاد الداخلة وبها نقطة شرطة واستراحة للمحافظة وبها طريق صحراوى يوصل إلى أسيوط وهى قليلة الفواكه والنخيل والطيور ولكنها كثيرة الحبوب من قمح وأرز وشعير وتكثر بها الأرضة وهى حشرة صغيرة تأكل الأخشاب والورق، وقد رأينا كتب المدرسة مأكولة منها ومبانى تنيدة فوق ربوة وعيونها كثيرة وماؤها عذب وبعد أن زرنا مدرستها أقلتنا السيارة إلى الخارجة، فوصلنا فى منتصف الساعة الثانية عشرة ونزلنا باستراحة المحافظة .

فى الخارجة والعودة ٢١ و ٢٢ أبريل سنة ١٩٣٨ :

وفى يوم الخميس ٢١ منه زرنا مدارس الخارجة مرة أخرى وانتظرنا قيام القطار إلى وادى النيل وقد تحرك بنا فى الساعة الثانية من صباح يوم الجمعة ٢٢ منه فوصلنا مواصلة الواحات فى منتصف الساعة العاشرة وانتظرنا بها حتى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر حيث ركبنا القطار إلى قنا فوصلناها الساعة الثالثة .

العيون بالواحتين :

بالداخلة ٥٨٤ بئرا وعينا ، و٤٩٥ ساقية وبالخارجة عدد قليل وطريقة فتح العين أن يؤتى بآلة تسمى «الدولاب» لإخراج التراب على عمق ٢٠٠ ذراع ثم تعترض الفاتحين طبقة صخرية ينقبونها بآلة حادة كالحربة بعد وضع أنبوبة من الخشب عليها فيخرج الماء متدفقا ويجرى على الأرض بغزارة فى قنوات يعدونها لسقى المزارع من غير تعب، ومن فضل الله على سكان تلك الجهات أن ماء العيون يجرى ليل نهار بدون أن تنضب من زمن بعيد.

السكان وصفاتهم :

يبلغ عدد سكان الواحة الخارجة ٩٢٥٠ نفسا وعدد سكان الداخلة ١٩٥٠٠

نسمة يشتغلون بالزراعة ومساحة المنزرع فى الأولى ٣٥٠٠ فدانا وفى الثانية ١١٠٠٠ فدانا، ويزرع بهما النخيل والفواكه والأرز والقمح بكثرة وقليل من الفول والذرة العويجة والبصل والعدس والفول السودانى ويكثر البلح العجوة فى الراشدة ويباع القنطار منه بـ ٢٥ قرشا ومن الصفات الحسنة التى امتازوا بها انتشار الأمن بينهم فترى الأبواب مفتحة ليلا وحظائر المواشى منعزلة عن المساكن، ويسمونها المساطيح لاحارس لها، فالناس آمنون على أنفسهم ومنازلهم ومزارعهم ومساطيحهم كما امتازوا بوداعة الأخلاق والطاعة وقلما يحدث بينهم حادث يصل أمره إلى المركز، وهم كرام يستقبلون الغريب بوجه باش ويتمنون زياراتهم والعمد فى بلادهم هم قادة الرأى وإليهم يرجع الأمر فى كل شىء وكلمتهم نافذة، ويلاحظ على المزارعين عدم الجـــد وقلة النشاط فهم يكتفون بزراعة القليل من الأرض ويتركون الكثير على جودة تربته وسهولة استنباته. ويتمسك سكان الواحتين بالعادات العربية القديمة فلم أر امرأة خارج المنزل أو مطلة منه.

دياناتهم ولغتهم :

جميع السكان يدينون بالإسلام ويتكلمون اللغة العربية مع تحريف فيها، فيفخمون بعض الألفاظ كالماء والسماء. ويبدلون لام الكلمة نونا والعكس فينطق أهل القصر العنب علباً وعلب السجاير عنبا ولمن نمن وهكذا...

وعندهم ألفاظ تدل على مصطلحات خاصة بينهم مثل :

ب ـــ ميشبه : اسم مكيال وقدره $\frac{1}{7}$ كيلة عندهم ويساوى قدحا وربع قدح بالكيل المصرى.

أميلى : ٣٠ قدما يستعمل لضغط المياه الخارجة من العيون مدة ١٢ ساعة.

من عياطه : ومعناها: كثير جدا. يقول المواطن لآخر: أعندك بلح؟ فيجيبه: من عياطة.

وش كان : ومعناها وماشأنك؟ يقول المواطن لآخر: أنت عملت كذا؟ فيجيبه وش كان .

قارة : ومعناها الشيء المرتفع يقول المواطن: بنى فلان بيته على القارة .

الأحكام

قانون الأحوال الشخصية نافذ بين الأهلين وماعدا ذلك فأحكام عرفية يقوم بها المحافظ وأعوانه.

الحيوانات :-

أكثر الحيوان هناك المعز ثم الأبقار إلا أنها هزيلة والحمير وهى جيدة وبها قليل من الجمال ولا يربى بها الجاموس .

الاستراحات :-

للسكة الحديد استراحتان الأولى بالقارة ، والثانية بالخارجة . وللمحافظة ست استراحات: واحدة بالخارجة والثانية بباريس، وأربع ببلاد الداخلة واحدة بتنبدة واثنتين بموط وواحدة بالقصر . وفى كل بلد استراحة للعمدة لاتقل عن استراحات الحكومة بل بعضها يفضل بعض استراحات الحكومة .

الخاتمة :-

تلك نبذة عن لنا أن نكشفها عن الواحتين لنضع أمام القارىء . صورة عن جهة نائية بالقطر المصرى قد لايعرف الكثير من أبناء النيل عنها شيئا والله ولى التوفيق؟

أحمد على مسيحه
مفتش منطقة قنا